من القاهرة هنا دمشق

مريم شعبان

إبداع
للنشر الالكتروني

BESAN:BESO:

نوفيلا

من القاهرة
هنا دمشق

مريم شعبان

إبداع

تصميم

الغلاف: Besan Beso

الداخلي : Dina Y Elshaarawi

تعبئة ورابط إليكتروني : Dina Y Elshaarawi

فريق عمل

إبداع

للنشر الإلكتروني

أعرف أنني أينما كُنت ، مازلتُ في بيتي الدمشقي تحت ظل عينيك ياحبيبي الوحيد، ياقاسيون الأبد.

[غادة السمان]

سأل ـ وابتسامة دافئة ترتسم على معالم وجهه ـ

(بالمناسبة ما اسمك ؟)

دون أن تشعر ارتسمت ابتسامة فخر عندما سألها عن اسمها، فهو ما كانت أن تنتظر أن يسألها عنه منذ أن بدأا الحديث، وعرف بأنها سورية، رأت السعادة تنضح من عينيه، وهو يعبر لها عن حبه لسوريا وأهلها ..أجابت بهدوء :

(ست الشام)

علت نظرات الاستفهام على محياه وهو يقول:

(عفوآ)

علت الفرحة شفتيها بسب الاندهاش في عينيه

...(ست الشام هذا هو اسمي)

هز رأسه بتوتر، وهو يقول :(ولكن أليست كلمة ست تدل على المرأة الكبيرة في العمر ؟)

ضحكت بقوة حتى سألها مرة أخرى: (لماذا تضحكين ؟)

لتقول ببساطة: (سؤالك هذا ذكرني بنفسي ..عندما سألت عن اسمي، ولماذا سميت به؟) .

أخذ كأس العصير من النادل وقدمه لها باحترام قائلآ بلهجته المصرية اللطيفة (وهل لي أن أعرف السبب؟)

أومأت برأسها بالموافقة، وهي تتأمل نهر النيل القريب من مكان الاحتفال، لتقول: (لا يمكنني أن أنسى ذلك اليوم أبدآ ،كنت أبكي وحدي بسبب مضايقة صديقاتي لي لأنني أحمل اسمآ غريبآ ،

على الرغم من أن الجميع يرونه مضحكآ!!!

حتى سمعت جدتي أصوات بكائي،اقتربت مني والسبحة بين أصابعها، ومنديلها الأبيض يزين رأسها، والعكازة تسندها وضعت يدها على رأسي : لماذا البكاء يا صغيرتي؟فأجبتها بحزن واستغراب (لماذا اخترتم لي هذا الاسم الذي جعلني أضحوكة بين الناس؟)

اذكر ابتسامتها جيدآ، كانت ابتسامة فخر وسعادة؛لأنني صاحبة هذا الاسم،أمسكت يدي الصغيرة، ثم طلبت مني أن أصحبها إلى مكان جلوسها، أغلقت مصحفها المفتوح، ثم همست في مداعبة :(وهل تبكين من أجل اسمك ؟)

مسحت دموعي بكم ثوبي، وأجبتها :

(أجل أجل صديقاتي يقلن: إن هذا الاسم للنساء الكبيرات في السن، وليس لمثل أعمارنا)

تبسمت جدتي ضاحكة بفخر،وهي تضمني بحنان و السعادة لا تغادرها،

(ألا تعرفين يا بنيتي أن بلدنا اسمها شام؟ الشام هي ست الكون يا صغيرة ..جمالها لا يقارن بأي مكان آخر..، ونحن اخترناكِ لتكوني ستآ على ست الكون كله .. كنت جميلة كالشام .. انظري لك خمسة أصابع في يدك والشام لها خمسة ألقاب .. لديك عشرة أصابع بيديك الاثنتين، والشام أيضآ لديها عشرة أسماء خاصة بها ... كنت متبسمة ؛

لذلك اخترنا لك هذا الاسم ..رائحة الياسمين لا تفارقك أبدا كالشام .. فواحة عطرة مثلها تماماً.. لقد كنت تشبهين الشام في كل شيء .. فسميتك ست الشام لتبقي مثلها شامخة رائعة لا يمكن لأحد أن ينافسك بجمالها)

نظرت له والدموع تتجمع في عينيها، وابتسامة شوق لا تفارقها، ثم تابعت حديثها (ليومي هذا أذكر كيف أخذت تجدل شعري، وهي تقولي لي بحنان: (اسمعي يا ست الشام أنت ستكونين مثل الشام حنونة كالأم لجميع من يلتقي بك .. طيبة القلب .. الشام هي أم الفقير .. ست الكل .. وأنت يوماً ما ستكبرين ، وتكونين مثلها ..جميلة ،

ياسمينة فواحة، ستحملين في قلبك كل جمالها وبهالتك بهائها وروعتها).

رغم أنني لم أفهم كل كلماتها وقتها ، ولكنها زرعت في الفخر؛ لأنني أحمل اسمآ فخمآ ذا معنى كبير ...

جلست معه على إحدى الطاولات المزينة بالورد الأبيض ، وأتممت حديثها (وهكذا مرت الأيام والسنون ، وكلماتها بقيت محفورة في قلبي ..كبرت وحبها يعرش على حيطان قلبي كما يعرش ياسمينها على النوافذ والجدران ..حاراتها نقشت في وجداني ..استنشق عطرها ..أذوب غراماً بكل حجر فيها ..لا شيء يطربني في هذه الحياة مثل ما يطربني وقع المطر فوق ترابها ..

لا ارتوي إلا من مائها .. في كل سنة تمر من عمري الشام تسكنني أرتبط بها كالعروة الوثقى التي لا انفكاك منها)

مسحت دمعة فرت من عينيها ، وهو يراقب بصمت، والتأثر واضح على محياه حتى نطق (هذه أول مرة أسمع تفسير مثل هذا لاسم)
ضحكت مجيبة (هكذا هي الشام تمنح الروعة لكل شيء مرتبط بها ... في كل مرة أمشي في حاراتها أشعر وكأنني في الجنة.... قاسوينها الشامخ يمنحك الفخر والقوة، ..ياسمينها الذي يملئ الشوراع يزرع فيك الرقة ..وبردى الذي يحتضنها يمنحك الحنان والعطاء ... وهي تمنح أولادها القوة الممزوجة بالرقة والحنان..)

عدل نظارته التي كانت تعطيه هالة من الهيبة، وتلك الشعيرات الفضية التي تزين شعره الفاحم لتزيد وقاره وقاراً ، وهو يقول ببحته المميزة (كنت أسمع عن الشام كثيراً ..عشت وكبرت، وأنا اسمع عن جمال سوريا وأهلها، ولكن لم يحدث أن شعرت أنني أمشي في شوارعها من وصف أحد إلا من وصفك أنت .. وكأنني أسير بين حاراتها وكأن تلك الياسمينة تسقط زهرتها فوق رأسي فجأة، وكأن القمر هبط ليعانق ساحاتها وأنا أراقب .. شعرت وكأن المطر غمرني وأنا أقف لاشتم رائحة حجارتها ... كل هذا من كلماتك يا ست الشام ..

سافرت بين كلماتك لتلك الأرض الطاهرة التي أسرت الكثير من الشعراء والمسافرين وها هي تسحرني من دون أن أراها) .

مسحورة بكلامه، وفخورة لأنها أثرت حماسه ، ونقلته بكلماتها لمعشوقتها دمشق ...سعيدة لأنه رأى دمشق من أحاسيسها (أرى أنك وقعت في سحرها دون أن تتنفس هواءها وتشرب من مائها)

ضحك بخفة ، وهو يومئ برأسه وأصابعه تداعب كأس العصير بهدوء (بالفعل لقد عشقتها كعشقك لاسمك)

ابتعدت عن ناظريه مدعية الانشغال بالنظر إلى العروس التي دعتها لحفل زفافها، وقابلت هذا الغريب الذي أثار شوقها لبلدها وأهله ، حتى

انتشلها من المراقبة للعريس الذي يغمز لعروسته بحب بسؤال كانت تخشاه وتخشى الإجابة عنه :

(هل أنت حزينة ببعدك عنها ؟)

عند سؤاله هذا غادرت الصورة الجميلة التي كانت تحكي له عنها ..ابتعد الجمال فجأة واختفت الألوان من مخيلتها .. زقزقة عصافير جدتها خبت والياسمينة ذبلت .. صورة جدتها وهي ترتل القرآن بصوتها الناعم والسبحة التي لا تفارق يدها أبدا ونبتة الريحان التي لا تبرح طاولتها في فسحة البيت انمحت من أمامها ,أومأت له والحزن تملكها والوجع ألم بها وهي تقول (شوقي لها لا يقارن ..حاجتي لها كحاجة الرضيع لأمه ..دموعي عليها كدموع ثكلى فقدت وحيدها منذ لحظات ..)

تابع أسئلته التي بدأت تمزق وجدانها (غادرت دمشق منذ فترة طويلة ؟)

أمسكت كأسها الذي نسيته برحلتها في خبايا الماضي منذ قليل ترتشف منه قليلا عله يبدل طعم الصدأ الذي شعرت به فجأة لتتابع وهي تتأمل العصير بداخله(منذ سنوات ..لم يكن بوسعي البقاء أكثر)

نظرت إليه والموت تملك نظراتها فتسأله بانهزام (هل يمكن أن تشتم رائحة الموت ؟)
لم يجبها وكأنه كان ينتظر إجابتها وهي بالفعل قدمتها له (لقد شممتها هناك بين حيطان شامي , موطني ... تحول كل شيء لحزن ..تلك الياسمينة التي كبرت وأنا أتأمل جمالها ذبلت فجأة ..المطر تحول من موسيقى ساحرة لصوت بكاء على أهلها

.. السعادة غادرت ليحل بدلاً عنها الحزن والأسى .. الفرح لم يعد يزور حاراتها وحل بدل منه الموت ...معشوقتي تغيرت لقد نهشوا روحها كالذئاب الضارية .. سرقوا فرحتها .. زرعوا فيها الوجع على أبنائها ...الشام أصبحت موجوعة حزينة ...وأنا لم احتمل كل هذا ..لا يمكنني أن أراها تبكي ، لا يمكنني أن أبقى لأسمعها تصرخ كل يوم ... لقد كان ذلك أكبر من طاقتي .. ست الكون تعيسة ..ريحان الشام أصبح يزرع فوق قبور شبابها وهو الذي كان يزين البحرة في بيوتها .. فُلها خاصم ياسمينها ولم يعد يزهر معه ويعانقه كما كان في السابق ..كان ذلك أكبر من طاقتي فغادرتها لتبقى صورتها الجميلة في عقلي ..لأبقى شامخة باسمها الذي أحمله .. كان يجب أن أغادر

لكي لا أموت من القهر عليها ... محبوبتي حزينة وأنا تركتها تبكي وحدها .. لقد خنت حبها الذي كبرت عليه .. تخليت عنها بدلاً من مواساتها .. لأنني لم أجد من يواسيني ، لم يطبطب علي أحد ، هذا الحب هو من جعلني أغادر)

صمت الكلام عن الكلام ..ضاعت الحروف منها وحلت بدل منها الدموع التي حاولت أن تحبسها بداخلها كما فعلت كل هذه السنوات .

كانت تراقبه رغم حزنها ، شيء ما داخلها دفعها لتراقب تعابيره.

لقد كان يشعر بها وبحزنها ..لقد لمحت الأسى بين مقلتيه ولكنه التزم الصمت أيضا .. كان يحترم حزنها الذي تملكها بلحظات ... وهي

كانت شاكرة لصمته الذي منحها فرصة لتلملم وجعها.

رأته يقف فجأة ليقترب منها بقامته السمراء الشامخة وابتسامة دافئة تزين وجهه ولكنته القاهرية وهو يدعوها لتذهب معه لمكان ما .. لتقدم له يدها فيقودها لذلك المكان .

كانت تتبعه بصمت وهي ترى القوة والثبات بوقفته ومشيته ..بعد دقائق وقفت معه هناك أمام النيل مباشرة ..تسمع خرير الماء منه والليل يغلفهما ..

كان يقف خلفها وهي مسحورة بالنيل والقمر يزين سطح مائه والنجوم كاللؤلؤ المسجور يرتسم بقرب القمر ، حتى سمعت همسه يقول لها (أغمضي عينيك ست الشام ..اشعري بالنيل

..اسمعي صوته .. ألا يشبه بردى بحنانه ورقته كما بردى يحتضن دمشق النيل يحتضن القاهرة ويعطيها من رقته رقة ..اسمعي أصوات الناس التي تختلط بصوته ألا تذكرك بأصوات أهل الشام التي تندمج مع بردى .؟..)

كانت تشعر بكل ما يقوله وكأنها في لحظات أصبحت على كتف بردى ..أصوات أهل الشام تخالطت مع أصوات أهل القاهرة وكأنهما واحد ..اندمجت وتآلفت كلحن جميل راق يطرب الأرواح.

وقف بقربها يراقبها وهي تبتسم وهو ابتسم حتى فتحت عينيها لتسمعه يقول (النيل لم يكن ينقصه إلا ياسمينة تزينه وأنت هي تلك الياسمينة ..اقدر شوقك لدمشق فأنا المصري اشتقت لها من

وصفك لها فكيف لا تشتاقين لها وأنت من كبرت بين جنباتها وتشربت عشقها يوماً بعد يوم ، إنني أشعر بشعورك أيضا ولكن انظري حولك كيف اندمجت المدينتان لتشكلا مزيجاً ساحراً. القاهرة تصبح أكثر سحرا بتراتيل شامية يا ست الشام .)

لقد كان محقاً كانت ترى دمشق بعيون القاهرة ، تسمع أصوات ناسها بأصوات القاهرة ، وكأن المدينتان أصبحتا مدينة واحدة في ثوان ، الياسمينة تعانق زهرة اللوتس ، وبردى يصب في النيل ، الجامع الأموي يسبح بحمد الله مع مسجد عمرو بن العاص بصوت واحد ، أجراس الكنيسة المريمية تغازل أجراس الكنيسة المعلقة

لتشدو أروع الألحان ، لقد كان كل شيء مثل السحر ، دمشق والقاهرة تآلفتا لتضمانها معاً فتفرغ كل حمولتها المرهقة ، تشكو شوقها الدمشقي للقاهرة ، تعاتب دمشق على أبواب القاهرة ، لتعود وتشعر أنها بخير وكل شيء يمكن أن يعود كما كان ، سوف يزهر ياسمين دمشق وتغني القاهرة طربا بفرح شقيقتها دمشق

.

مرت أيام منذ ذلك اليوم وهي ما زالت بباله ..

لقد كانت ليلة ساحرة رغم أنه كان مترددا في حضور الزفاف ولكن لقائه مع تلك الفتاة الغريبة جعله سعيد وغير نادم أبدا .. لم يرى فتاة تعشق بلدها كما تفعل هي .. لم تسحره أنثى قبلا من مجرد حديث بسيط كما فعلت هي لتكتمل فرحته

حين وجد أن هذه الغريبة القريبة زبونة دائمة في المقهى الخاص به .. لقد اكتشف ذلك الامر بالصدفة أيضا .. يبدو أن الصدف تحب جمعه معها وهذا شيء يسره ..ابتسم وهو يتأملها في عزلتها هادئة ..في جلستها تبقى صامتة .. ان تختار مكان كهذا ليكون مزارها اليومي فهي لا بد أنها تمتلك ذوق رفيع .. ذوق فسر بثيابها البسيطة الهادئة .. بنظراتها الشاردة .. كان الضياع مرسوم عليها .. والوجع متلبس فيها .. نعم لقد كانت كل هذه الصفات ظاهرة بشكل جلي عليها .. لايمكن لأحد أن يخطأ بتفسير الحزن عليها .

مر النادل من جانبه ليوقفه (ماذا طلبت الأنسة ؟)

ابتسم له النادل بعملية مجيبا (كعادتها فنجان قهوة)

أومأ له ليتابع طريقه وعقله ونظراته تعود اليها من جديد ... منذ أن افتتح المقهى ولم يشده أحد من زواره إلا هي .. ولا سيما بعد لقائه معها في حفل الزفاف ذلك اليوم .

تأتي كل يوم في فترة مابعد العصر تشرب فنجان قهوة وتغادر .. هذا هو روتينها اليومي وروتينه أيضا .. يجلس في مكتبه المطل على المقهى أو على إحدى الطاولات يراقبها حتى تنتهي وتغادر ..

لا يجرأ على الاقتراب ولا الحديث معها ... كل ما عرفه من العاملين إنها شامية .. ومن معرفته

هذا استطاع أن يفسر بعض من الحزن الساكن في روحها .

داعبت رائحة القهوة أنفه وهو يلتقط اقتراب النادل المتجه لها ليغمض عينيه وأنفه يتذوق تلك الرائحة اللذيذة حتى وصل قربه ليعود فيوقفه قائلا (بعد أن تقدم القهوة لها .. قم بتشغيل قارئة الفنجان)

أومأ الشاب له مرة أخرى ولم تدم عدة دقائق حتى انتشرت الموسيقا في ارجاء المكان ليبتسم بسعادة لابتسامتها التي ظهرت عند سماعها للأغنية وهي تدركها من أول نغمة ليهمس لنفسه (يبدو أن الشامية صاحبة ذوق موسيقي ايضا)

متكئ في مكانه يسند رأسه بيده وعينيه لا تفارق تلك المبهرة وكلمات عبد الحليم تغزو رأسه وكأنها تغني لأجلها ... من قال ان الصمت في

حرم الجمال جمال محق .. الجو كل كان جميل .. تلك الديكورات القديمة التي اختارها لفندقه .. الطرابيش التي زينت الرفوف والقناديل التي تتدلى من السقف والرائحة القهوة التي تملئ المكان واللون الخشبي العتيق الذي اتخذته الطاولات والكراسي لون لها ليكمل هذا المنظر صوت عبد الحليم وبوجودها كان المكان ذو سحر أخر .

تابع حركتها لتتسع عينيه وهو يراها تفعل ما تفعله مرات قليلة .. تمسك فنجان قهوتها وتقلبه على الصحن الخاص به لتحمله هو والصحن بيد واحدة تحركه بشكل دائري ثم تضعه على الطاولة دون الاقتراب منه .. واضعه يدها على فكها بصمت .

اختار أخيرا الاقتراب .. لقد حسم أمره وسوف يغتنم فرصته الآن ..

يسير ببطء نحوها قدم تقدم وأخرى تعود للخلف ..ورأسه يضع مليون سؤال وتفصيل ولكنه وصل أخيرا ولا مكان للتراجع .. ليسعل بهدوء ليحصل على انتباها وبالفعل رفعت رأسها إليه لتبادر بالقول بلهجته القاهرية (أفندم)

علت الابتسامة شفتيه وهمسها بلهجته جذبه أكثر وأكثر ليجيب من بين شفتيه (أنا اسف لإزعاجك .. ولكن أرغب بالتحدث لك إن سمحتي)

تنحنحت بحرج عندما تذكرته لتجيبه هذه المرة بلهجتها الشامية (بالطبع تفضل لو سمحت)

وبالفعل جلس مقابل لها .. خائفة .. مرتبكة .. خجلة وهذا جعل قلبه ينبض بقوة .. كانت نظراتها مركزة نحو فنجانها المقلوب وللحظة عادت كلمات الأغنية تغزو رأسه ...

(أنا متأسف على إزعاجك .. لقد لاحظت أنك زبونة دائمة لدينا ولكن فضولي يدفعني لسؤالك عن أمر ما)

عادت لترفع نظرها نحوه والتحفز يأخذ مكانه بدل من الخوف في عينيه ... ليبتلع أنفاسه قائلا (أراك كل يوم لا تطلبين سوا قهوة فقط .. في بعض لمرات تقلبين فنجانك كما فعلت منذ قليل .. اشعر أنك سترفعيه لتقومي بقراءته ولكنك ببساطة تتركيه كما هو وتغادري والحزن يكسو ملامحك)

هل رأى شبح دمعة في عينيها .. هل يمكن أنه جلب الدموع إليها بكلماته .. عجز عن التصرف هل يعتذر ويغادر أم يصمت وينتظر .. ولكنه فضل الخيار الثاني وتركها تأخذ وقتها لتقرر أن تجيبه أو تغادر ببساطة ولكن لدهشته الشامية قررت أن تتلكم .

تنهدت بحزن ملئ قلبها لتقول بحرقة (في البداية سررت برؤيتك مرة أخرى)

ابتسم وعلامات البهجة تسكن محياه كان فقد تذكرته وهذا شيء سره جدا .. ولكنه لم يتكلم حتى تابعت (.. بالنسبة لقصة الفنجان والقهوة .. لم أكن يوما من عشاق القهوة ولم يستهويني مذاقها اللاذع ولكنها كانت معشوقة والدتي .. استيقظ على رائحتها .. اتشبع بغزل أمي لها

ولمذاقها حتى كبرت وأنا أحب رائحتها وصفاتها بلسان أمي ولكنني أكره مذاقها .. وعادة قلب الفنجان هي أيضا لأمي كانت تحب فن التبصير .. تعتقد أنه علم .. أن تقلب الفنجان لتقرأ ما بداخله ..و تفك الشيفرات المرسومة بفعل البن فيه كانت أكير متعة لها ..

لكنني تركتها وغادرت .. لقد ماتت أمي منذ فترة بسيطة في سوريا وأنا سافرت لمصر أحاول أن ابني حياة جديدة هنا .. بعيدا عن ما يحدث في بلادي .. بعيدا عن رائحة أمي التي تسكن كل زاوية من زوايا دمشق .. والشيء الوحيد الذي أخذته منها عشقها للقهوة .. حتى اصبحت مدمنة عليها .أحب أن أقلب فنجاني فأشعر أنني أقوم

بطقوسها المميزة ولكنني لا أجرؤ على قلبه لرؤية مافيه .. فأتركه مقلوب وأغادر)

صمت .. ولا شيء سوا الصمت .. لا ينكر أنه كان معجب بها بسبب تصرفاتها هذه وحديثهما السابق بقي في عقله ولكن أن تكون تصرفاتها إحياء لذكرى والدته جعل قلبه يتعاطف معها .. لقد فهم سبب حزنها.. حزن على فراق بلدها وحزن على والدتها .. تنهد بحزن ليقول (أنا ومقهاي محظوظين لاختيارك له لإحياء ذكرى عزيزة على قلبك)

ابتسمت لإطرائه وهي تداعب صحن فنجانها لترفع رأسها تتأمل المكان حولها (المقهى جميل بشكل مبهر .. فيه عاطفة غريبة .. بابه الخشبي

القديم بوسط كل الحضارة المحيطة حوله يجذبك لتدخل وعند

دخولك يكبر انجذابك أكثر .. تشعر وكأنك عدت لعصر الخواجات المصرية القديمة .. تلك الألوان الخشبية العتيقة .. الأواني القديمة التي تقدم بها الطعام .. كل تفصيلة بهذا المقهى تحمل عاطفة قوية .. عاطفة تذكرني بالشام .. الشام القديمة .. فكل زاوية هناك تحكي لك قصة وكل ياسمينة تروي حادثة مشوقة وهذا ما شعرت به هنا .. أشعر أنني بين أحضان دمشق وأنا في وسط القاهرة).

لقد كانت شامية ذات عشق قاهري وهذا ما جذبه لها ... ينتظرها كل يوم لتأتي وما أن تدخل تبدأ موسيقا قارئة الفنجان فتهديه ابتسامة خجولة .. تارة يجلس معها يحادثها يضحك معها وتارة يكتفي في السلام حتى لا يتطفل عليها .. ولكن العشق حط في قلبه ولا بد أن يعترف .. لا بد أن يجعل الوحدة بين قلبيهما كما كانت وحدة بين بلديهما .

جلس مقابل لها بعد ان قدم النادل القهوة لهما لتسأله (ما قصة قارئة الفنجان معكم .. في كل مرة أتي لهنا تكون هي الأغنية الموجودة)

ضحك بمكر مجيبا (ربما تعرف أنك شامية لذلك الصدف تضعها على المشغل بحضورك)

رفعت حاجبها بتكذيب واضح له بحركة اعتاد عليها منها في كل مرة يحاول أن يغازلها بطريقة غير مباشرة فتصطاده فورا لتقول (و ماعلاقة كوني شامية بهذه الأغنية)

ابتسم لها وعلامات الحب بادية عليه ليتحدث بعد أن ارتشف من قهوته (هذه الأغنية اكبر مثال على أن اندماج الشام مع القاهرة ينتج سحر لا يمكن مقاومته)

سألته بعينيها دون كلام ليوضح وهو بالفعل استجاب (تلك الأغنية تعتبر من أجمل ما غنى عبد لحليم طوال مسيرته .. ولكنها في المقابل كانت كلماتها أبداع من أعظم شعراء العصر وهو ابن الشام .. نزار قباني ... اللمسة الشامية

مع السحر القاهري انتج رائعة بقيت بصمة في التاريخ ..)

أومأت بهدوء وكلماته تسكن روحها ... لقد عاشت في القاهرة منذ ثلاث سنين كانت تشعر بالاستقرار لا تنكر .. حب المصريين كان واضح لها .. مساعدتهم .. ولكنها لأول مرة تشعر بهذا الإحساس وكأنها عادت لدمشق في ثوان .. وكأن دفء الشام سكن خلاياها ببعض كلماته ..

نعم كيف لها أن تنسى فمصر وسوريا منذ بدء الخليقة ومقدر لهما أن تكونا واحد .. في كل شيء .. في الحرب والسلم في الفن والإبداع وحتى في الحب ..

عادت نظراتها تتأمله .. سمرته المحببة لكنته القاهرية المميزة .. احتفائه بها .. اغتنامه لكل فرصة ليشعرها أنها بين أهلها وبلدها ..

خوفه عليها ..وحتى عرضه لمساعدتها في كل مرة وقوله لها في كل يوم تودعه (لو محتاجة حاجة أنا موجود)

اخرجها من تفكيرها صوته وهو ينادي اسمها (ست الشام)

اهتزت وهي تبعد أفكارها قليلا مجيبة (نعم)

لتعود ابتسامته تدريجيا يسألها (هل أنت موافقة ؟)

فتحت عينيها بدهشة تردد (على ماذا)

اقترب بجسده من الطاولة يركز بصره عليها (على أن تكوني قارئة فنجاني .. تغزلين حياتي بين أصابعك وأنا أغنيك لتكون حياتنا تحفة فنية تبهر الناس كما فعلت قارئة الفنجان)

ابتسمت له برقة وسعادة سكنت حدقتيها أخيرا وهي تهز رأسها بالإيجاب والسعادة تنتقل منها إليه .

بحياتك يا ولدي امرأةٌ

عيناها، سبحانَ المعبود

فمُها مرسومٌ كالعنقود

ضحكتُها موسيقى و ورود

..لكنَّ سماءكَ ممطرةٌ

وطريقكَ مسدودٌ.. مسدود

فحبيبةُ قلبكَ.. يا ولدي

نائمةٌ في قصرٍ مرصود

والقصرُ كبيرٌ يا ولدي